

حجاجية الصورة .

في ديوان (تراتيل في محراب الحرف) للشاعر محمد زين العودي

د. فضل يحيى زيد*

أمين عبد الله سيف**

المخلص:

يناقش هذا البحث الصورة ودورها الحجاجي في (ديوان تراتيل في محراب الحرف) للشاعر محمد زين العودي وقد قُسم البحث إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: حجاجية الصورة التشبيهية. المبحث الثاني: حجاجية الصورة الاستعارية. المبحث الثالث: حجاجية الصورة الكنائية.

إنّ الصورة في ديوان العودي أُستمدت من الواقع المحسوس ممثلاً في الطبيعة والحيوان وثقافة المتلقي وشكّلت بما يتناسب مع التجربة الشعرية والشعورية وبما يعبر عن رؤيته لذاته ولقضايا

الإنسان والمجتمع اليمني وقد استطاع الشاعر أن يوظف الصورة الشعرية في معالجة الكثير من قضايا مجتمعه توظيفاً دقيقاً ممّا يدل على إدراكه للدور الحجاجي التأثيري والإقناعي الذي تحمله تلك الصور، وقد زاد من حجاجية الصورة في ديوان (تراتيل في محراب الحرف) أن الشاعر لم يعتمد على نوع واحد من أنواع الصورة بل نجده قد وظف العديد من أنواع الصور التشبيهية والاستعارية والكنائية توظيفاً حجاجياً استطاع من خلالها أن يثير انفعال المتلقي ليشاركه في عملية التغيير والإصلاح الاجتماعي والثقافي والسياسي والديني الذي يروم الشاعر القيام به داخل مجتمعه والذي قال شعره من أجل تحقيقه.

الكلمات المفتاحية: الحجاج - الصورة - الاستعارة - الكناية.

*أستاذ البلاغة والنقد، ورئيس قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة إب، اليمن.
**طالب ماجستير، جامعة إب، كلية الآداب، الجمهورية اليمنية.

Abstract:

The present study aims at discussing the argumentation of images and their argumentative role among poetry collection of "*Hymns in Mihraab Of A Letter*" for the poet Mohammed Zain Al-Awdi. This study is divided into three parts as below;

- First Part: argumentation of simile images.
- Second Part: argumentation of metaphor images
- Third Part: argumentation of metonymy images.

The researcher has reached to some of important results as follows;

1. The images among Al-Awdi's collection of poetry is so distinctive because they emanate from the concrete reality represented by nature, animals, and recipient. Such images are expressed according to poetic and conscious experience and how he has expressed his own as well as Yemenis issues and their community.
2. The poet is able to employ the poetic images accurately through addressing many of his own community's issues since he is conscious of argumentative, effective and persuasive role which images have expressed.
3. Similarly, what makes images among Al-Awdi's poetry collection in (*Hymns in Mihraab of a Letter*) so distinctive is that the poet does not rely upon a single type of images, rather employing several images argumentatively, such as simile, metaphor and metonymy images, through which he is capable to draw attention of recipients for taking part in social, cultural, political and religious change and reform process which the poet wants to do among his own community.

Key words: Argumentation, images, simile, metaphor and metonymy

المقدمة:

يعد مصطلح الحجاج من المصطلحات التي ظهرت في العصر الحديث وحظيت باهتمام الكثير من النقاد والباحثين وسبب ذلك الاهتمام ناتج عن إغفال النقد القديم لوجود هذا المصطلح في النصوص الشعرية وربطه فقط بالخطاب النثري لجهة واهية مفادها، أنّ الشعر يخاطب العواطف ولا يخاطب العقول وإذا اشتمل على الحجاج فقد قيمته وتحول إلى أساليب منطقية جدلية لا قيمة لها، فلذلك بدأ النقاد وعلماء البلاغة في العصر الحديث بالعمل على نفي تلك الحجة الواهية وإثبات أن الشعر مشتمل على الحجاج وأنه حاضر فيه حضوره في النثر لأن النص الشعري خطاب يروم فيه صاحبه إقناع المتلقي وحمله على الإذعان لفكرته⁽¹⁾ من خلال بعض الوسائل والأساليب التي يتكئ عليها الشاعر ويضمنها نصه الشعري لتحقيق هدفه من النص.

وتعد الصورة إحدى هذه الآليات والوسائل التي يستعملها الشعراء لتحقيق الهدف الذي يقصدونه. كما تعد من أهم المكونات في العمل الأدبي، ويرجع ذلك إلى ما تمثله الصورة من حجة إقناعية لها تأثيرها على المتلقي، والصورة البلاغية لها وظيفتان: وظيفة إمتاعية ووظيفة إقناعية، وتكمن حجاجية الصورة في قدرتها على استمالة المتلقي، والتأثير فيه، بما توفره من معان غير مباشرة، ترفد الطاقة الحجاجية بمزيد من القوة.

أسباب اختيار البحث

على الرغم من كثرة الدراسات والبحوث التي تناولت الدور الحجاجي للصورة في الشعر العربي الحديث، فإن الأدب اليمني بشكل عام والشعر منه بشكل خاص لم يحض بدراسات تبرز حجاجية الصورة فيه باستثناء بعض الدراسات التي ركزت على بعض الشعراء المشهورين أمثال البردوني

(1) ينظر: الحجاج في الشعر العربي، سامية الدريدي ص 47 وما بعدها، والحجاج في القرآن من أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صوله، ص15 وما بعدها، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني، ص 61 وما بعدها.

والزبيرى، والمقالح، أما الشعراء الذين لم يحضوا بالشهرة فلم يُدرَس شعرهم بشكل عام سواء في الماضي أو في الحاضر ومن أولئك الشعراء الشاعر محمد زين العودي مما دفع الباحثين إلى أن يكون بحثهما في حجاجية الصورة في (ديوان تراتيل في محراب الحرف) للشاعر محمد زين العودي، والسبب في هذا الاختيار أنّ الصورة الحجاجية شكلت ظاهرة بارزة في ديوان الشاعر والتي تستحق الدراسة، والمتصفح لديوان (تراتيل في محراب الحرف) للشاعر العودي يجد فيه الكثير من المظاهر الأدبية والبلاغية، إلا أنّ حجاجية الصورة من أكثر الظواهر شيوعاً في الديوان ومعظم قصائد الديوان تعالج قضايا اجتماعية وسياسية وغيرها من المشكلات، وقد استعملها الشاعر لتقريب الحقيقة من المتلقي، فكان يدمج الحجة بالحجة لإقناع الحاكم والشعب على حد سواء، بحتمية تغيير ذلك الواقع وضرورة معالجة تلك القضايا السلبية لذا نجد الشاعر العودي قد استطاع التوسل بتلك الآليات التصويرية في نقل ما يروم نقله إلى الآخر، لتلك الأسباب كان اختيار الشاعر محمد زين العودي وديوانه (تراتيل في محراب الحرف) واختار الباحثان كلمة ديوان لأن هناك قصائد للشاعر لم يشتمل عليها الديوان وكذلك لأن الديوان اشتمل على نوعين من الشعر العمودي والحر وهناك أسباب أخرى دفعت الباحثين إلى اختيار هذا البحث منها:

١. رغبة الباحثين في المساهمة في دراسة الأدب اليمني الحديث والذي ما زال مليئاً بالموضوعات والقضايا الأدبية والفنية التي تحتاج من يبحث عنها ويظهر ما فيها من قيم جمالية وحجاجية.
٢. اشتمال الديوان على الكثير من الصور بحيث شكلت ظاهرة بارزة تحتاج إلى دراسة تبرز الدور التأثيري والإقناعي لها.
٣. إن شعر الشاعر محمد زين العودي بشكل عام والصورة بشكل خاص لم تمتد إليه أيدي الباحثين من قبل حسب علم الباحثين.

أهمية البحث:

١. تأتي أهمية البحث من أنه سيدرس ظاهرة بلاغية بارزة في ديوان الشاعر محمد زين العودي، لم تدرس من قبل حسب علم الباحثين.

٢. كما تكمن أهمية البحث في أنه سيدرس الدور الحجاجي الذي قامت به الصورة في إيصال أفكار الشاعر ومعانيه إلى المتلقي وتحقيق الأهداف المرجوة من قصائده .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الآتي:

١. إبراز الدور الحجاجي للصورة الشعرية التي استعملها الشاعر في ديوانه .
٢. إبراز الطاقة الحجاجية التي اشتملت عليها تلك الصور ودفعت الشاعر إلى اختيارها دون غيرها.

منهج البحث:

لقد اقتضت مادة البحث أن يستخدم الباحثان المنهج التحليلي مع الاستعانة ببقية المناهج الأخرى.

الدراسات السابقة:

بعد البحث وسؤال أصحاب الاختصاص، توصل الباحثان إلى أن ديوان الشاعر محمد زين العودي لم تمتد إليه أيدي الباحثين من قبل في أي مجال من مجالات الدراسة.

التمهيد: الحجاج والمجاجج وحجاجية الصورة:

أولاً: التعريف بالحجاج:

مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً:

١- مفهوم الحجاج لغة: في القواميس العربية:

عند الرجوع إلى المعاجم اللغوية نجد أن ابن منظور ت (٧١١هـ) عرفه بقوله: الحجة البرهان وقيل الحجة ما دوفع به الخصم ...

والتخاصم، وجمع الحجة حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجاً نازعه الحجة وفي الحديث: فحج آدم موسى" أي غلبة بالحجة" وسميت الحجة حجة لأنها تحج أي تقصد(١).

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس ت (٣٩٥هـ) في مادة(حج)الحاء والجيم أصول أربعة: فالأول: القصد، وكل قصد حج...والأصل الآخر: الحجة وهي السنة، ويمكن أن تجمع إلى الأصل الأول لأن الحج في السنة لا يكون إلا مرة واحدة، فكأن العام سمي بما فيه من الحج حجة. والأصل الثالث: الحجاج وهو العظم المستدير، والأصل الرابع: الحججة النكوص يقال: حملوا علينا ثم حججوا"(٢).

فالحجاج إذاً يعني القصد و يعني الإحجام عن الشيء، كما يطلق على ذلك العظم الذي يحيط بالعين، فالمجاجج يقصد الظفر بخصمه والتغلب عليه بالحجج كي يصل به إلى النكوص وينقاد لرأيه أو للقضية التي هو بصدد الدفاع عنها أما بالنسبة للحجاج الذي يطلق على ذلك العظم المستدير حول العين، فيمكن أن نستلهم منه معنى الإحاطة والدراية باعتبارهما شرطين أساسيين يجب توفرهما لدى المجاجج، فالخائض في موضوع ما لا بد له من خلفية معرفية عميقة بكل صغيرة وكبيرة تتعلق بذلك الموضوع."(٣)

(١) ينظر: لسان العرب ابن منظور، دار صادر، بيروت ط(١) ج٢، ١٩٩٧ (ح.ج.ج).

(٢) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس. تح: عبدالسلام محمدهارون. دار الجيل ١٤٢٠/١٩٩٩م. بيروت لبنان (ج٢) مادة (حج) ص ٣٠: ٢٩.

(٣) الآليات. البلاغية الحجاجية في المعلقات (معلقنا عمرو بن كلثوم وزهير بن أبي سلمى - أنموذجاً) هناء لبيهي، رسالة ماجستير، جامعة الشهيد حمد لخضر الوادي، الجزائر، ٢٠١٤م: ٢٠١٥م، ص ١٠.

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري ت(٥٣٨هـ): أحتج على خصمه بحجة شهباء وبحجج شهب وحاج خصمه فحجه وفلان خصمه محجوج." (١)
وعلى هذا يكون الحجاج دائر أحوال التخاصم والتنازع والتغالب، باستعمال الأدلة والبراهين بين المرسل والمرسل إليه بهدف الإقناع والتأثير. (٢)
ومن خلال التعريفات السابقة نستنتج أن الحجاج لا يعني العداوة رغم ما فيه من منازعة ومخاصمة فإن ذلكما "لا يستلزمان العداوة، بل مدارها يكون الاختلاف مع الطرف الآخر في الحوار." (٣)

٢- مفهوم الحجاج لغة في القواميس الأجنبية:

في اللغة الفرنسية نجد لفظة : Argumentation تشير إلى عدة معاني متقاربة أبرزها على الخصوص حسب فاعور (روبير) مايلي :
-القيام باستعمال الحجج.

-مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة .

-فن استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معينة وفي القاموس ذاته نجد Argument : تشير إلى الدفاع عن اعتراض، أطروحة بواسطة حجج أو عرض وجهة نظر معارضة مصحوبة بحجج" (٤)

وقد ورد في قاموس كامبردج أنّ "الحجاج هو الحجة التي تعلل أو تبرز مساندتك أو معارضتك لفكرة ما" (٥)

(١) أساس البلاغة : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر (ج٢) (د.ط) ١٣٩٩/٥١٣٩٩م، ص ١١٣.

(٢) الأليات البلاغية الحجاجية في رباعيات عمر الخيام 'رسالة ماجستير. أسماء يسعد ولامية مقرع جامعة العربي بن مهدي. أم البواقي، الجزائر، ١٤٣٧/٥١٤٣٨-١٦م/٢٠١٧م ص ٢٨.

(٣) الأليات البلاغية الحجاجية في رباعيات الخيام، أسماء يسعد ولامية مقرع، ص ٢٨.

(٤) Let grand Robert Dictionnaire de la langue Francaise. T.1 Paris 1989.p.535، نقلا عن الحجاج والإستدلال الحجاجي ، حبيب أعراب، عالم الفكر، ع(١)، م(٥٠) الكويت ٢٠٠١م، ص ٩٩.

(٥) Leanners:Dictionary,Cambridg(9) it ge Advanced Cambrid UniversityPress.2pub,2004p56.6

نقلا عن تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف- أنموذجاً- رسالة ماجستير، حياة دحمان، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، ١٤٣٣-٢٠١٢م، ص ١٥.

ومن خلال التعريفات المعجمية نجد أن دلالة لفظ (Argumentation) لم تخرج عن إطار استعمال الحجة إما للدفاع أو للاعتراض على فكرة معينة" (١) كما يشير لفظ (Argue). في الإنجليزية إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كل منهما إقناع الآخر بوجهة نظره بتقديم الأسباب أو العلل التي تكون الحجة. Argument مع أو ضد رأي أو سلوك ما" (٢).

٣- المفهوم الاصطلاحي للحجاج:

لقد بدأ مصطلح الحجاج متشعباً وواسعاً وعائماً والسبب في ذلك وجود الحجاج واستعماله في علوم عدة ما بين فلسفة ومنطق وقانون وسياسة وبلاغة وخطابة الخ...

فقد عرف الحجاج كل بحسب تخصصه واتجاهه وبالعودة إلى كتب الحجاج في العصر الحديث وجدنا بعض المفاهيم والتعريفات، سواء في الغرب أو عند العرب.

أما عند الغرب فقد عُرّف الحجاج عندهم بأنه " حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع." (٣) وجاء في المعجم الفلسفي أن الحجاج "يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي أو إبطاله

والمحاجة طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها" (٤)

أما الحجاج عند العرب فقد عُرّف بأنه " كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليه" (٥) ونلاحظ في هذا التعريف للحجاج أنه كل قول بين طرفين .

(١) تجليات الحجاج في القرآن الكريم، حياة دحمان، ص ١٥.
(٢) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٥م، ص ٦.
(٣) الحجاج في الشعر العربي بنيتة وأساليبه، سامية اليردي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، عالم الكتب الحديث، أربد الأردن، ٢٠١١م، ٢١.
(٤) المعجم الفلسفي، إبراهيم مذكور، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص ٦.
(٥) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ١٩٨٩م، ص ٢٢٦.

ومما سبق نجد أنّ عمل المحاجج بالدرجة الأساسية هو الإتيان بدلالات إقناعية "تجعل العقول تزدن لما يطرح لها أو يزيد من درجة الإذعان، فأنجح الحجاج ما وُفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب، أو هو على الأقل في جعل السامعين مهيين لذلك العمل في اللحظة المناسبة(١).

ثانياً: المحاجج حياته وأثاره*:

اسمه ونسبه:

هو محمد بن زين بن صالح العودي من أسرة متواضعة، كان أبوه يلقب بالقاضي زين ، أب لتسعة أبناء أربعة ذكور وخمس إناث.

المولد والنشأة:

ولد الشاعر محمد زين العودي في مدينة إب عام ١٩٣٢م ونشأ وترعرع فيها والتحق بالمعلمة وحفظ القرآن الكريم فيها وتدرج في التعليم حتى أصبح مُعلماً بارزاً وأديباً من أشهر أدبائها .

رحلته العلمية والتعليمية:

التحق الشاعر محمد زين العودي كغيره من جيل الثلاثينات والأربعينات بالمعلمة(الكتاتيب) وعمره خمس سنوات، وحفظ القرآن فيها في سنة كاملة، ثم التحق بالكتاب لمدة أربع سنوات، ثم التحق بمدرسه المعادين في إب وقرأ فيها وحفظ المتون.

بعد ذلك التحق بالمدرسة العلمية بمدينة إب والتي تعلم فيها العلوم الشرعية،" كالتفسير والفقه وأصول الدين وعلوم اللغة العربية من النحو والصرف والبلاغة وواصل تعليمه على يد عدد من علماء عصره في مدينة إب منهم القاضي العلامة محمد بن محمد بن ناجي الوهابي (مفتي لواء إب) والعلامة

(١) ينظر: الأليات الحجاجية في أسلوب الكناية والتعريض (سورة هود). أبختي العياشي-د. معازيز بو بكر ،حوليات الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف المسيلة، العدد٩، مجلد، ٢ ، نوفمبر ٢٠١٧ م، ص ٢٢٤ .

* * رجع الباحث في السيرة الذاتية للشاعر محمد زين العودي إلى أسرة الشاعر وكتاب (محمد زين العودي،سيرة إنسان وتاريخ وطن) لعدد من أصدقاء الشاعر وتلاميذه ومعاصريه، مطابع دمشق للطباعة والنشر .إب.١٧ يناير ٢٠١٣م.

أحمد بن حسين المعادين والعلامة حسين بن أحمد الحوثي والعلامة قاسم علي شجاع الدين والعلامة المقرئ محمد حمود العزي وغيرهم وظل يتعلم ويعلم طوال حياته ويتقبل كل جديد.

لقد كان الشاعر محمد زين العودي رحمه الله مؤمناً بأهمية العلم معتبراً إياه اللبنة الأولى والأرضية الصلبة لنضال حتمي قادم تفرضه الأيام، ليؤهل اليمن إلى الانتقال إلى حياة جديدة متطورة، فقد عمل قبل الثورة مدرساً في ملحق الجامع الكبير في مدينة إب، وبعد إطلاقه من سجن العرضي في مدينة تعز بتهمة إثارة القلاقل وتحريض الناس وكان ذلك في عهد الإمام أحمد بقي في تعز وأسس مدرسة العرفان الأهلية وكان يدرس فيها مساء وفي الصباح يدرس في مدرسة النجاح الحكومية وظل على ذلك لمدة عام، ثم انتقل إلى مسقط رأسه مدينة إب وأسس فيها مدرسة العرفان العلمية في منطقة جرافة، وأدارها ودرّس فيها وبعد قيام الثورة دمجها مع مدرسة الثورة تحت اسم مدرسة الوحدة وعمل فيها مدرساً من عام (١٩٥٢-١٩٦٣م) أما بعد الثورة وتحديداً من عام (١٩٦٣-١٩٧٨م) عمل مديراً لمدرسة النهضة الثانوية الموجودة حالياً في منطقة جرافة.

إنّ من يطلع على السيرة العلمية والتعليمية للشاعر الأستاذ /محمد زين العودي يجد أنه كان رائد التعليم الأول النظامي في محافظة إب؛ حيث أعد جيلاً من أبناء المحافظة نجدهم يعملون إلى اليوم في كل التخصصات الإدارية والطبية والقضائية والعسكريه الخ... ويدينون له بذلك وأن الصفة (الرتبة) الأستاذ كانت تشير إليه ملازمة لاسمه ولم يحملها أحد في المدينة غيره آنذاك .

أهم أعماله الأدبية:

١. صدر له ديوان (ترااتيل في محراب الحرف) بالشعر الفصيح بعد وفاته بأسابيع.
٢. مختصر النحو (ما زال مخطوطاً ولم يطبع).
٣. تاريخ ما أهمله التاريخ (ما زال مخطوطاً ولم يطبع).
٤. مسرحية بعنوان (قوافل البر) (ما زال مخطوطاً ولم يطبع) وهي ملحمة صراع الشعب مع الحاكم

لقد تقلد الشاعر محمد زين العودي عددا من المناصب أهمها:

- * عمل رئيساً للمجلس البلدي في إب عام ١٩٨٣ م.
- * مديراً للمركز الثقافي في محافظة إب من عام (١٩٧٦-١٩٧٩ م).
- * مديراً لمكتب الإعلام بمحافظة إب بين عامي (١٩٨٧-١٩٩٠ م) حتى أحيل للتقاعد.
- * أصدر صحيفة اللواء الأخضر وترأس تحريرها ثم توقفت بعد صدور ستة أعداد بسبب أن فيها مقالات نقدية لاذعة لبعض المسؤولين .
- * من مؤسسي أول تجمع رياضي وشبابي في مدينة إب قبل الثورة.
- * عضواً في نقابه الصحفيين اليمنيين (١٩٧٨ م).
- * نائباً لرئيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بمحافظة إب.
- * عضو اتحاد الكتاب والأدباء العرب .
- * نائباً رئيس منتدى الإشعاع الأدبي الثقافي في محافظة إب حتى وفاته .

وفاته:

توفي الشاعر الأستاذ محمد زين العودي. يوم الخميس الموافق ٣٠ نوفمبر ٢٠١٢ م في مسقط رأسه بمدينة إب، بعد مسيرة حافلة بالعباء .

تعد الصورة إحدى الآليات والوسائل التي يستعملها الشعراء لتحقيق الهدف الذي يقصدونه، كما تعد من أهم المكونات في العمل الأدبي، ويرجع ذلك إلى ما تمثله الصورة من حجة إقناعية لها تأثيرها على المتلقي، والصورة البلاغية لها وظيفتان: وظيفة إقناعية ووظيفة إقناعية، وتكمن حجاجية الصورة في قدرتها على استمالة المتلقي، والتأثير فيه، بما توفره من معان غير مباشرة، ترفد الطاقة الحجاجية بمزيد من القوة.

ثالثاً: مفهوم الصورة ودورها الحجاجي:

تعد الصورة من أهم المكونات في العمل الأدبي، حتى أننا لا نكاد نرى عملاً أدبياً يخلو منها وذلك لما تقوم به من دور في إيضاح المعنى ونقله بسهولة ويسر إلى المتلقي، فهي تعطي المعنى مصحوباً بالدليل، مما يجعل المتلقي يشارك الشاعر همومه وأفكاره وآراءه ويعمل على تحقيقها في الواقع.

وقبل تبين الدور الحجاجي الإقناعي للصورة نبدأ بتعريف الصورة لغةً واصطلاحاً على النحو الآتي:

أولاً: التعريف بمفهوم الصورة لغةً واصطلاحاً:

(أ) مفهوم الصورة لغةً: "الصورة بالضم الشكل-ج- صور كعنب... وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة"^(١).

(ب) الصورة اصطلاحاً: جاء في كتاب التعريفات للشريف الجرجاني(ت٨١٦) عدة تعريفات للصورة أهمها: "الصورة الجسمية جوهر متصل بسيط لا وجود لمحلّه دونه قابل للأبعاد الثلاثة المدركة من الجسم في بادئ النظر"^(٢)

ونجد أن التعريف الاصطلاحي يتوافق مع التعريف اللغوي "من حيث أنّ الصورة تجسيد للشكل بأبعاده الثلاثة، وهو حسي ملموس متوافق الدلالة اللغوية

والاصطلاحية إلى حدٍ كبير، في أنّ الصورة متعلقة بالشكل"^(٣)

والصورة البلاغية تتضمن مقاصد حجاجية إضافة إلى مقاصدها الجمالية "فالبلاغة العربية ولا سيما علم البيان منها قادرة على استمالة المتلقي والتأثير فيه عبر الصورة ، لما توفره الصورة من معانٍ غير مباشرة، ترفد الطاقة الحجاجية بمزيدٍ من القوة"^(٤).

ومما يدل على أهمية الصورة أنّ القرآن الكريم قد استعملها في الإبانة والتوضيح والإقناع.

(١) القاموس المحيط. الفيروز أبادي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط٣، ١٣٠٤/١٩٧٨م. ج٢ ص ٧٢.

(٢) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢/٢٠٠٣م، ص ١٣٩.

(٣) حجاجية الصورة البيانية في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، سور: (يونس والكهف والحديد - أنموذجاً) رسالة ماجستير، شهزاد بوعروج ومنيرة فاسخ، جامعة العربي، الجزائر، ٢٠٠٦م/٢٠٠٧م، ص ٢٩.

(٤) ينظر: حجاجية الصورة التشبيهية في الشعر السياسي عند الزّهاوي والرّصافي، الطالب: علي جواد عبادة. د. سلام كاظم الأوسي، جامعة القادسية، ص ٧٣.

ثانياً: الصورة الحجاجية:

وهي كل صورة محتوية على شحنة حجاجية مستمدة من بعدها الجمالي أولاً، ومن المجال المنزعة منه ثانياً، فضلاً عما توفره من طاقة حجاجية ثالثاً^(١)

ويقصد بها الصور البيانية التي حدث من خلالها الإقناع والتأثير في المتلقي. فليست كل صورة نجدها في أي عمل أدبي يمكن تسميتها صوراً حجاجيةً فهناك صور متكلفة، الغرض منها إظهار مقدرة الشاعر في حشد الكثير من الصور" وعندما يهدف الشعر إلى تحقيق المتعة الشكلية، فإنه لا يُعنى كثيراً -بتوجيه- سلوك المتلقي أو مواقفه، فلا يقدم له إلا نوعاً شكلياً من المتعة، وهي غاية في ذاتها وليست وسيلة لأية غاية أخرى"^(٢)

وتكمن حجاجية الصورة البلاغية في "تحريك وجدان المتلقي والفعل فيه، فإذا انضافت الجمالية إلى حجج متنوعة، وعلاقات حجاجية تربط بدقة أجزاء الكلام، وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب، أي قيادة المتلقي إلى فكرة ما أو إلى رأي معين ومن ثم توجيه سلوكه الوجهة التي يريد لها"^(٣) لأن الصورة تستمد قوتها من أنها تعطي الفكرة مصحوبة بالدليل "وعندما يهدف الشعر إلى جانب المنفعة المباشرة، فإنه يثير في المتلقي انفعالات من شأنها أن تقضي إلى أفعال، فيوجه سلوك المتلقي ومواقفه وجهات خاصة، تتفق والأغراض الاجتماعية المباشرة للشعر، كنصرة عقيدة دينية أو كلامية، أو الدفاع عن مذهب سياسي، أو الدعاية لحاكم أو طبقة"^(٤) أو دفاعاً عن مجتمعه ووطنه أو ضراً أحلّ به. كما هو حال الشاعر محمد زين العودي. فقد وجه شعره وجهةً حجاجيةً أغدق فيها الصور المتنوعة، المستمدة من الواقع ومن قضاياها السياسية والاجتماعية كالظلم والتعسف والفقر والجهل.... الخ فجاءت صورته التي استعملها بغرض كسب تأييد المتلقي لقضاياها المطروحة،

(١) ينظر: المرجع السابق، ص ٧٦.

(٢) الصورة الفنية، في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، المركز الثقافي، العربي، بيروت، ط 1992 م، ص ٣٣١.

(٣) الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه. أ. د. سامية الدريدي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس عالم الكتب الحديث، أربد الأردن (ط ٢)، ٢٠١١ م، ص ١٢٠.

(٤) الصورة الفنية، في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر عصفور، ص ٣٣١.

وهذا ما جعل خطابه الحجاجي موجهاً إلى العقل والقلب معاً، وهذا ما تم توضيحه في المباحث التالية ابتداءً بحجاجية التشبيه.

المبحث الأول: حجاجية التشبيه:

يعد التشبيه أحد الأساليب الحجاجية الإقناعية، بل وأقواها لذا استعان به الكثير من الشعراء لبيان أفكارهم وتقريب المعاني لمتلقيهم، لما له من قدرة على التقريب بين عنصرين مختلفين وكأنهما عنصر واحد، ولذا نجد أن المشبه والمشبه به يقومان " بدوري المقيس والمقيس عليه ويتم الربط بينهما بعلاقة القياس أو المقارنة، حيث تستدعي هذه العلاقة أن يشترك هذان الطرفان على الأقل في صفة واحدة تكون في المقيس عليه أصلية وفي المقيس غير أصلية، وذلك حتى يتسنى لهذه الصفة المنزوعة من هذا ونسبها إلى ذاك، أن تلعب دور الدليل، فيمنح التركيب المجازي دوره الحجاجي^(١).

وتكمن حجاجية التشبيه " داخل الخطاب في تقريب المعنى إلى الذهن بتجسيده حياً، ومن ثمّ فهو ينقل اللفظ من صورة إلى صورة أخرى على النحو الذي يريد المصور (الشاعر). فإن أراد صورةً متناهيةً في الجمال والأناقة شبه الشيء بما هو أرجح منه حسناً وإن أراد صورةً متداعيةً في القبح والتفاهة شبه الشيء بما هو أردأ منه صفةً"^(٢) وهذه الميزة للتشبيه أهلته "إلى الدخول في ميدان النظرية الحجاجية والانضمام تحت لواء الحجج المؤسسة لبنية الواقع"^(٣) وتكمن حجاجية التشبيه أيضاً في لفت انتباه المتلقي وإثارة انفعاله، وجعله يدرك المعنى المقصود بنفسه من خلال المقارنة التي يقوم بها بين المشبه والمشبه به حيث تتضح له الصورة تماماً والمعنى الذي أراد الشاعر أن يوصله إليه.

حجاجية التشبيه في ديوان محمد زين العودي:

(١) الحجاج في شعر النقا، مكلي شامة، رسالة ماجستير، جامعة مولودي معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2008م/2009م، ص 130، 131.

(٢) أصول البيان العربي (في ضوء القرآن الكريم)، د. محمد حسين علي الصغير، د.ط، 1899م، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ص، 87. نقلاً عن حجاجية الصورة في الشعر السياسي عند الزهاوي والرصافي، علي جواد عبادة، ص 73.

(٣) حجاجية الصورة التشبيهية في الشعر السياسي، عند الزهاوي والرصافي، علي جواد عبادة، ص 73.

استعمل الشاعر الصورة التشبيهية بكثرة في ديوانه وسيلة إقناعية لعلمه بأثرها الفعال في إقناع متلقيه حيث أراد من خلالها إثارة المتلقي بالفكرة التي يريد بها فيجذبها إليها ويقنع بها، كما أستطاع أن يحقق الأهداف التي رام تحقيقها من قوله لتلك القصائد والتي سخرها لمعالجة قضايا مجتمعه وأمته، فوجد أن الصورة التشبيهية هي أنسب الآليات التي يستطيع من خلالها أن يلفت انتباه المتلقي إلى ذلك الواقع المأساوي المعاش ويجعله يؤمن عن قناعة بحتمية الثورة عليه وتغييره، لأن حجاجية التشبيه تنسم " بعدم قابليتها للدحض بسهولة، فقد أكد الدارسون أنه يعسر على المرء أن يتصور إمكان ورود دليل مضاد بعد تشبيه أو استعاره يخدم النتيجة المعاكسة، أما الأقوال العادية الحقيقية فيمكن بيسر إحلالها في سياقات الإبطال أو التعارض الحجاجي." (1)

ونلاحظ هنا أنّ الصور التشبيهية في ديوان محمد زين العودي، في مخاطبته لمتلقيه مستمدة من المجال الحسي، وذلك لقربها من متناولهم، وسرعة إدراكهم لها، فيكون التأثير بها أكثر والافتناع بها أعم، من ذلك استعماله للصورة التشبيهية لينقل من خلالها الحالة المأساوية التي تعيشها منطقتة وكيف تنكر لها الحاكم رغم التضحيات التي قدمت والتي تستحق بموجبها كل الرعاية والاهتمام، لكنها منطقة محرومة من أبسط الحقوق على الرغم من التضحيات التي قدمتها، وذلك بقوله:

فامدد يديك وداوها وأعد لها وجهاً ففيها قبرها محفورُ
وهي التي ضحت بأبناءٍ لها من أجل أن يبقى لنا الدستورُ
لكنها كالعيس في حرمانها من مائها والرعي وهو كثير (2)

يذكر الشاعر في الأبيات السابقة منطقة محرومة من جميع الخدمات (الصحية والتعليمية والطرق ومشاريع المياه.....الخ)، على الرغم من أنها قد

(1) في حجاجية النص الشعري، محمد عبد الباسط عيد، أفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، 2013م، ص 74

(2) تراثيل في محراب الحرف، محمد زين العودي، إصدارات وزارة الثقافة، مطابع التوجيه المعنوي، صنعاء، الجمهورية اليمنية، ط1، 2012م، ص 43

قدمت توضيحات تستحق من خلالها كل تلك المشاريع، ومن أجل أن يقنع المتلقي (الحاكم) بأن منطقته تقدم التوضيحات دون أن تستفيد شيئاً وأنها محرومة مما تستحق، أتى بالصورة التشبيهية والتي من خلالها استطاع أن يجعل المتلقي يقوم بعمل المقارنة بين توضيحات منطقته وعدم استفادتها من تلك التوضيحات كالعيس التي تحمل الماء والنبت الكثير على ظهرها لكنها لا تستفيد منه شيئاً مما يجعله يشارك الشاعر في أن منطقته تستحق تلك المشاريع ولا يجوز حرمانها منها، وأنها بذلك تعاني من جور وظلم الحاكم الذي يشبه ظلم وتسلط مالك العيس الذي يحرمها من أبسط حقوقها، فيتأثر المتلقي عن دراية واقتناع فيؤمن بضرورة توفير الخدمات لتلك المنطقة .

من الملاحظ على التشبيهات التي استعملها العودي في ديوانه أنه لم يستعملها من أجل أن يعالج بها قضايا ومشكلاته الشخصية، وإنما استعملها من أجل أن ينقل من خلالها قضايا مجتمعه وأمتة إيماناً منه بالدور الحجاجي والإقناعي الذي تقوم به في جعل المتلقي يشترك معه في إدراك الوضع المأساوي الذي يعيشه المجتمع وكثرة القضايا السلبية التي تفتت داخل هذا المجتمع، وقد استمد الصورة التشبيهية من الحيوان الذي يشبه إلى حد ما المواطن الساكت عن حقه، ليلفت انتباه المواطن أن تلك الحقوق ما ضاعت إلا نتيجة السكوت وعدم مطالبته بها، فيتأثر ويقوم بنزع حقوقه مهما كلف الثمن فكان يقنعه بحتمية التخلص من هذا الوضع وحتمية القيام بثورة ضده للتخلص من تلك الآفات المسيطرة عليه، لذلك نجد الشاعر قد أكثر من تلك الصور في شعره، مما جعل "المتلقي يعقد مقارنة بينهما ويحاول معرفة وجه الشبه بينهما"^(١) وإذا كان الشاعر محمد زين العودي في النص السابق قد استعمل التشبيه الصريح ليلفت انتباه المتلقي إلى الظلم الذي تعانيه منطقته والمتمثل بحرمانها من أبسط المشاريع رغم التوضيحات التي قدمتها، نجده يستعمل التشبيه الضمني الذي يحتاج من المتلقي أعمال فكره ليلفت انتباهه إلى الجزاء الغير العادل الذي حصل عليه الثوار، ففي الوقت الذي يجب تكريمهم على توضيحاتهم إذ بهم يجازون جزاء الحصان الذي شاب وهو القتل متكررين لكل ما قام به مما

(١) الروابط الحجاجية في شعر المتنبي، خديجة بوخشرة، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠٠٩ م / ٢٠١٠ م، ص ٦٤ ..

يجعل المتلقي يدرك النهاية المأساوية لأولئك الثوار ويصل إلى قناعة بضرورة الاهتمام بهم فيقول الشاعر:

يحسدون الذي توفي بحربٍ أو بسمٍ أو صدفَةَ العشواءِ
الحصان الذي يشيب يجازى برصاص يرتاح بعد الشقاءِ
فلماذا أضام بعد شقاء. دون ذنبٍ ولم أحقق منائي^(١)

في الأبيات السابقة أراد الشاعر أن يصف مدى المعاناة التي يعانيتها هو ورفاق دربه ممن ناضلوا وضحوا حتى قامت ثورة ٢٦ سبتمبر كي ينعموا وتنعم الأجيال بالعدل والمساواة بين أبناء الشعب، إذ بهم يفاجئون بالحرمان من أبسط حقوقهم في شيخوختهم و قد جُوزوا بغير ما يستحقون، ومن أجل أن يقرب الصورة والمعنى إلى ذهن المتلقي ليدرك مدى الظلم الواقع عليه وعلى رفاقه عمد إلى استعمال التشبيه الضمني فشبه نفسه بالحصان الذي يخوض المعارك أثناء قوته حتى إذا شاخ وكبر، تُنكِرَ لكل أعماله وتضحياته وخدماته فيجازى بالقتل رمياً بالرصاص والجامع بينهما الجزاء الغير العادل لكل منهما، وبذلك يكون قد أسهم في إقناع المتلقي لأنه قد توصل من خلال التشبيه إلى المعنى المقصود بنفسه، فيكون أكثر اقتناعاً بالفكرة التي أرادها الشاعر، ونراه أيضاً يستعمل التشبيه الضمني في توضيح مدى ما يقاسيه المواطن ويعانيه من منح الوظائف الحكومية والترقيات لغير مستحقيها من الذين لديهم وساطات وأقارب في مركز القرار وحرمان من يستحقها من أصحاب الكفاءة مما يؤدي إلى إنهاك اقتصاد البلاد وإضعافه مهما كانت قوة ذلك الاقتصاد بقوله:

في الخدمة ترقيّة المعدّم غارقة في بحر من دم
إلا للصنو أو ابن العم فالبحر سيكمل بالغرف^(٢)

أراد الشاعر في البيتين السابقين أن يبين للمتلقي مدى التلاعب بالوظائف العامة حيث أصبحت تمنح لأصحاب الوساطات ويحرم مستحقوها من أصحاب الخبرات والكفاءة، وما يترتب على ذلك من خطر يهدد اقتصاد البلاد وينذر

(١) ديوان تراثيل في محراب الحرف، ص 57

(٢) المصدر السابق، ص 66

بفقر مدقع ولكي يوصل المتلقي إلى الفناعة بمدى ذلك العبث في التوظيف وهدر المال العام أتى بالتشبيه الضمني، الذي يفيد أن لو افترضنا أن المال العام يشبه البحر لنفد ذلك البحر وهذا يدل على عظم الإسراف في ونهب المال العام مما يؤدي إلى انهيار اقتصادي مثلما أن كثرة الغرف من البحر سيؤدي يوماً ما إلى نضوب ماءه الكثير مما يجعل المتلقي يدرك خطورة تلك القضية فيبدأ بالتصدي لها عن قناعة واقتدار وكل هذا بفضل الصورة التشبيهية ودقة نقلها للمعنى، لذلك نجد الشاعر يستعمل الصورة التشبيهية أيضاً في لفت انتباه المتلقي إلى الوضع الاقتصادي المتدني للعملة المحلية نتيجة لانتشار الفساد واستمرار المفسدين في نهب موارد البلاد فيقول:

وريال اليـــــوم كالورقــــــــــــــــة فالورق البيض لها نفقة
لكتابة حكم أو صدقة أورد سـؤال أو وصف^(١)

إن الشاعر من خلال أسلوب التشبيه الذي استمده من واقع وثقافة المتلقي قد استطاع من خلاله أن يبين الوضع المأساوي الذي وصل إليه اقتصاد البلاد من خلال تدني قيمة العملة التي أصبحت مجرد ورق بل الورق أغلى منها، مما يجعل المتلقي من خلال المقارنة بين المشبه(الريال) والمشبه به(الورق) يدرك خطورة الوضع وأن على الجميع الوقوف صفاً واحداً لتغييره لأنه أصبح واقعاً كارثياً لا يطاق، مما يؤكد القوة الحجاجية التي يحملها أسلوب التشبيه ، وأن الشاعر استعمله عن قصد ودراية بتلك القوة التأثيرية التي حملها ذلك الأسلوب ويكون بذلك قد نجح في إقناع المتلقي بعدم فائدة الريال نهائياً فيسعى من خلال الاهتمام بالأساليب والطرق التي ترفع من قيمته كالاهتمام بالزراعة والصناعة وغيرها.

إن الشاعر محمد زين العودي قد حاول في ديوانه أن يوظف الصورة التشبيهية في معالجة الكثير من القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كما استعملها أيضاً في وصف المفسدين وأكلي أموال وخيرات البلاد لإقناع المتلقي (الحاكم) باتخاذ أشد العقوبة في حق أولئك العابثين من ذلك قوله مخاطباً للحاكم:

(١)المصدر السابق، ص . 67

حطم أياد طوالا طالما عبثت بمال شعب وديع صابر عان
وقص أجنحة الأطماع كم فتحت أفواهها كتضاريس وخلجان
لتبلع الكل مما قد تجود به كنوز أرضي من نطف ومرجان^(١)

يتوجه الشاعر بخطابه في الأبيات السابقة إلى الحاكم مبتدئاً بفعل الأمر حطم الذي يفضي الإجابة عن سؤال سيثيره في ذهن المتلقي (الحاكم) لماذا أحطم؟ ومن أجل أن يفتح الحاكم بالمبررات التي حثت الشاعر إلى توجيه هذا الطلب وقيام الحاكم به عمد إلى أسلوب التشبيه في البيت الثاني وقد استمد من الطبيعة المحيطة بالمتلقي ليكون أقوى إقناعاً وأشد تأثيراً فشبه أفواههم الفاعرة بالتضاريس والخلجان المفتوحة التي تلتهم كل شيء يقع أمامها ويكون بذلك قد نجح في إبراز الصورة البشعة لأولئك الذين نهبوا أموال الشعب وجعل المتلقي يتخيل تلك الصورة البشعة لهؤلاء، فاستعمل هذا التشبيه كدليل أو شاهد على صحة ما يقول ليقنع المتلقي بما قاله. وقد وجد الشاعر التشبيه مناسباً لنقل مبرراته التي من خلالها يجعل الحاكم مؤمناً بضرورة التحطيم؛ لأن من يتصفون بتلك الصفات يجب أن تحطم أياديهم التي تعيث

في الأرض الفساد وتحتطيمه لها سيتم اجتثاث الفساد.

ومن خلال ما سبق ندرك ما يحمله التشبيه من طاقة حجاجية ومن قدرة على إيضاح المعنى للمتلقي ولعلّ هذا ما دفع الشاعر إلى استعماله في ديوانه حيث استطاع من خلاله أن يشرك المتلقي في الكثير من القضايا التي رام معالجتها في شعره، وقال شعره بهدف تغييرها، وهذا ما نجده أيضاً في استعماله للصورة

الاستعارية في المبحث التالي.

(١) الديوان، ص ٩٧

المبحث الثاني: حجاجية الاستعارة:

تعد الاستعارة من أهم الوسائل الحجاجية التي تسهم في الإقناع وبيان جمالية الخطاب، ومن أكثر الآليات الحجاجية التي يستعملها المرسل لإقناع المتلقي .

وتكمن حجاجية الاستعارة في إبراز المعنوي المجرد في صورة الملموس المحسوس، بهدف التأثير في المتلقي وإقناعه، فالاستعارة تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي، و"الاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشاراً لارتباطها بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخاطبية والتواصلية"^(١) وقد تعلق الاستعارة استعمال ألفاظ الحقيقة، وذلك لأنه لا يفضل المرسل استعمالها، إلا لثقلته بأنها أبلغ من الحقيقة^(٢) فالاستعارة ليست مجرد زينة أو محسن بديعي في الفكرة أوفي الدعوى، بل تدفعه إلى أن يشارك إحساسه وانفعاله، فحجاجية الاستعارة لها وظيفة مركبة يرتبط فيها العقل بالإحساس الفكري والنفسي"^(٣) ولذلك "فإننا لا نتصور إمكان ورود دليل مضاد بعد القول الاستعاري يخدم النتيجة المعاكسة، أما الأقوال العادية غير الاستعارية فإنه يمكن أن ترد في سياقات الإبطال والتعارض الحجاجي"^(٤)

وخلاصة القول: إن الاستعارة من أهم الوسائل المجازية "التي يستعملها المتكلم للوصول إلى أهدافه الحجاجية، بل إنها من الوسائل التي يعتمد عليها بشكل كبير جداً، ما دما نسلّم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية وما دما نعد الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري"^(٥).

حجاجية الاستعارة في ديوان الشاعر محمد زين العودي

-
- (١) اللغة والحجاج، أوبكر العزاوي، ص ١٠٨
 - (٢) -استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت /لبنان ط(١) ٢٠٠٤م، ص ٤٩٤.
 - (٣) الآليات الحجاجية البلاغية في رباعيات عمر الخيام، إعداد الطالبتين : أسماء يسعد، ولامية مقرع، جامعة العربي بن مهدي -أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٦م، ص ٨٨
 - (٤) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص ١٠٦.
 - (٥) ينظر: المصدر السابق، ص ١٠٥.

لقد توسل الشاعر محمد زين العودي بالاستعارة في نقل أفكاره ومعانيه إلى متلقيه لما لها من دور في التأثير والإقناع وبأنها وسيلة من أنجح الوسائل في إيصال المعنى لجذب المتلقي واستمالاته وإقناعه بتلك القضايا التي عالجها في شعره، لأن الاستعارة من الحجج المؤسسة لبنية الواقع، ومن الاستعارات التي استعملها في ديوانه راثياً أحد أصدقائه قوله:

مات من كان للمحافل تاجاً جوهرى الترصيع والإعداد
ينثر الدر للجماهير منها يسطع النور بالهدى و الرشاد^(١)

نجد الشاعر في البيتين السابقين يرثي أحد أصدقائه، ومن أجل أن يكون رثاؤه منطقياً ويجعل المتلقي يقتنع باستحقاق المرثي للثناء، أتى ببعض صفات المرثي عن طريق الاستعارة (تاجاً للمحافل- جوهرى الترصيع- ينثر الدر- يسطع النور) حيث جاءت تلك الاستعارات حججاً إقناعية حاول الشاعر من خلالها أن يجعل المتلقي يشاركه الحزن من خلال إدراكه لتلك الصفات الفضية التي كان يتمتع بها المرثي.

فالاستعارة في الخطاب الحجاجي تثير النفوس والخيال وتحرك المشاعر لتؤدي غرضها في إقناع المتلقي، والشاعر هنا قد استعمل الاستعارة لزيادة القوة والطاقة الحجاجية، فكانت أكثر إقناعاً وأقوى حججاً منها لو جاءت على صورتها الحقيقية^(٢) لأنها قد تجعل المتلقي يدرك مدى الأهمية والمكانة العالية التي كان يحتلها المرثي ويتصف بها، وأن الشاعر محق في رثائه له، فمن يمتلك تلك الصفات يستحق الثناء، ومثل ذلك أيضاً قوله:

أصحيح بات في أيدي الحتوف فارس الرأي وسلطان الحروف
عمره ما خاف شرا محققاً وله كم أذعنت شم الأنوف^(٣)

أراد الشاعر في البيتين السابقين أن يبين للمتلقي بعض الصفات العظيمة التي يتصف بها المرثي والتي منها: أنه أديب مفوه، وأنه صاحب رأي

(١) ديوان تراثيل في محراب الحرف، ص ٣٤.

(٢) البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، شيخ آمال، رسالة ماجستير، جامعة المسيلة، الجزائر، 2009م/2010م، ص ١١٥.

(٣) ديوان تراثيل في محراب الحرف، ص ٥٩.

سديد، وأنه شجاع ومقدام خضعت له شم الأنوف، ومن أجل أن يقنع المتلقي بتلك الصفات ويجعله يشارك الشاعر حزنه على فقيده استعمل الشاعر استعارات عدة مثل: (أيدي الحنوف - فارس الرأي - سلطان الحروف) وفي الاستعارات الثلاث نجد أن الشاعر قد حاول أن يقرب المعنى إلى ذهن المتلقي من خلال تشبيه المعنوي بالحسي مما يجعل المتلقي يعمل تفكيره ويتصور تلك الأشياء المعنوية في صورة أشياء حسية ملموسة مما قد يؤدي به إلى الاقتناع والاستسلام ومشاركة الشاعر حزنه على المرثي ويعذره إن رثى شخصاً له هذه الصفات النبيلة التي من النادر أن تجتمع في شخص في وقت واحد إن استعمال الشاعر للاستعارة مكنه من أن يترك الحكم للمتلقي يستنتجه بنفسه لذا يصعب دحضه أو إنكاره أو نفيه، وهنا أدت الاستعارة دورها الحجاجي من خلال المشابهة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي في الخطاب الحجاجي ومن استعماله للاستعارة أيضاً ما نجده في رثائه أحد رجال المرور النزيهين بقوله:

يا لهفة النفس وذبح السرور لفقد من كان يدير الحبور
كأننا لا نستحق الذي يجنب الناس طريق الشرور^(١)

أراد الشاعر في البيتين السابقين أن يعبر عن مدى حزنه وتحسره على رجل من رجال المرور الذي وافته المنية ولكي يشارك المتلقي ويجعله يحزن ويتحسر على المفقود أتى في البيت الأول باستعارتين مكنيتين (ذبح السرور - يدير الحبور) وذلك محاولة منه في تقريب المعنى من خلال نقله المعنوي المجرد إلى المحسوس لعله يقتنع ويشارك الشاعر حزنه على من له تلك الصفات النادرة والتي انتهت بموت المرثي فاستعمل الاستعارة كحجة يحمل المتلقي على الإذعان ويجعله يفكر في تأويلها وإدراك حقيقتها، وكما استعمل الشاعر الاستعارة في رثاء أصدقائه وإبراز صفاتهم الفضيلة ليقنع بها المتلقي، كذلك استعملها لبيان صراعه وكلمة الحق التي لم يتمكن من إخراجها أو قولها نتيجة لعدم سماح الحاكم المستبد له بذلك ومن أجل أن يشارك المتلقي في ذلك الصراع عمد إلى استعمال الاستعارة فقال:

(١) المصدر السابق، ص ٣٠

أيام كانت كلمتي حبيسة

تتن بين أضلعي

وترفس الأضلاع^(١)

أراد الشاعر في النص السابق أن يوضح للمتلقي مدى معاناته من قول كلمة الحق، والتي أضطر لحبسها داخل أضلعه وهذا الحبس سبب له الألم والمرض لأن كلمة الحق تريد أن تخرج وتؤدي دورها في إصلاح المجتمع، ولكنه لا يستطيع إخراجها، ولكي يجعل المتلقي مدركا بمدى ذلك الضيق الذي كان يعاني منه أتى بالاستعارة المكنية ليجعل المتلقي يستنتج الحكم بنفسه وبالتالي يشارك الشاعر آلامه ويتقاسم معه أحزانه، ويدرك ما يعانيه من كبت وضغط نفسي ولولا الاستعارة ما استطاع الشاعر أن يشارك المتلقي في معاناته تلك، كذلك نجد الشاعر يستعمل الاستعارة في التوضيح للمتلقي بأن إحقاق الحق لا يأتي عن طريق أسلوب السؤال وإن تحقيق النصر لا يأتي بالصدفة وإنما بالتضحية فقال:

فالحق لا يأتي بأسلوب السؤال

والنصر لا يأتي

إذا لم نحتس مر النضال^(٢)

في النص السابق أراد الشاعر أن يبين للمتلقي أن الحقوق المستلبة لا تأتي عن طريق سؤالها من الذي سلبها، كذلك النصر لا يأتي دون تضحية، ولكي يقع المتلقي بهاتين القضيتين، عمد إلى استعمال الاستعارة (إذا لم نحتس مر النضال) كي يحيل المتلقي إلى المقارنة بين المشبه والمشبه به فيقتنع ويتأثر بما طرحه الشاعر عليه حيث قرب إليه المفهوم المعنوي في صورة الحسي المادي، الذي يؤدي به إلى التأثير ويجعله يقوم عن قصد ودراية ورغبة باستعادة حقوقه المنهوبة، والانتصار على الظلمة الذين صادروا تلك الحقوق.

(١) المصدر السابق، ص ٤٥

(٢) المصدر السابق، ص ٤٨

وإذا كان الشاعر محمد زين العودي قد حاول أن يؤثر في المتلقي ويقنعه ويستميله لما يريده عن طريق الاستعارة فإنه أيضاً قد استعمل الكناية محاولاً من خلالها التأثير وتحقيق الإقناع لدى المتلقي كما سنرى في المبحث الآتي.

المبحث الثالث: حجاجية الكناية.

تعد الكناية أحد الأساليب البيانية التي يستعملها الأدباء في إيصال أفكارهم ومعانيهم التي لا يستطيعون إيصالها بواسطة التصريح لذلك فهي عند علماء البيان أبلغ من التصريح في بعض الأحيان إذا استدعى المقام ذلك كما أن الكناية تعد أسلوباً من أساليب الحجاج، ووسيلة قوية من وسائل التأثير والإقناع وهي أسلوب بلاغي يسهم في تعميق الفكرة وتضفي على المعنى جمالاً ورونقاً يؤثر على النفس^(١) ولذا يلجأ إليها المتكلم لأنها بمثابة الدليل على ما يقول.

وتكمن حجاجية الكناية في إعطاء النصوص طاقة حجاجية، فهي تعطي المعنى مصحوباً بالدليل.

إن الكناية أبلغ وأكد وأقوى حجة من التصريح عندما يقتضيها الحال ويستدعيها المقام "فليست المزية في قولهم (جمّ الرماد) أنه دلّ على قرى أكثر، بل إنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ، وأوجبته إيجاباً هو أشدّ، وأدعيته دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق"^(٢) أي أنّ الكرم أصبح صفة لازمة لصاحبه لا تفارقه، "والمعنى الذي يفهمه المتلقي من قصد الحجاج بعد تدبر وتفكر، يكون أقوى تأثيراً، وأكثر إقناعاً من المعنى الصريح؛ لأنه يخضعه إلى عملية ذهنية عقلية، فالمحاجج عندما يكتفي يريد من ذلك إشراك المتلقي في العملية الحجاجية"^(٣)

(١) الروابط الحجاجية في شعر المتنبي، خديجة بو خشرة، ص ٦٥

(٢) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١/١٩٩٥م، ص ٦٩.

(٣) الحجاج في كلام الحسين عليه السلام، د/عايد جدوع حنون. مؤسسة وارث الأنبياء ط ١٤٣٩/هـ / ٢٠١٨م، ص ١٨٤.

ومما سبق نستنتج أن القيمة الحجاجية للكناية تكمن في إعطاء النصوص طاقة حجاجية قوية لأنها تعطي المعنى مصحوباً بالدليل والبرهان، مما يعمل على استمالة المتلقي والتأثير فيه.

حجاجية الكناية في ديوان محمد زين العودي:

إن من يتتبع الكنايات التي استعملها الشاعر محمد زين العودي يجد أنه قد استعملها ليعالج من خلالها الكثير من القضايا السلبية الموجودة في مجتمعه والتي لا يستطيع أن يصرح بها محاولاً أن يلفت انتباه المتلقي إليها لعله يساعده في التخلص منها من ذلك استعماله الكناية ليبين للمتلقي من خلالها ما وصل إليه الحال من تكميم الأفواه ومحاصرة ورقابة ما يُكتب في نقد الحاكم وإصلاح اعوجاجه، مما يجعله مدركاً للوضع المأساوي للواقع الذي يعيشه الشاعر، ويكشف السبب الحقيقي الذي دفع بالشاعر إلى تمني الموت، فقال:

فيا موت أقبل لإنقاذنا فقد أصبح العيش صعباً ومرا
وهاهي أفواهنا ألجمت ومكتوب أقالنا ليس يقرأ^(١)

يصف الشاعر في البيتين السابقين ما أصبح عليه الوضع من استبداد فكري وكذلك صعوبة العيش والضرر الذي يحيط بالمجتمع، ولكي يقنع المتلقي بهذا الوضع المتردي ويبرر له تمنيه الموت أتى بالكنايتين (أفواهنا ألجمت- مكتوب أقالنا ليس يقرأ) التي من خلالهما ساعد المتلقي على إدراك مأساوية الوضع فكلاهما يصبان في عدم الحرية الفكرية، وبهذا يكون الشاعر قد نجح في إقناع المتلقي بمأساوية الوضع وعلى أن يرسم في خياله صورة قريبة إلى الواقع المزري، مما قد يسعى لتغييره والثورة عليه، ويلتمس العذر للشاعر في تمنيه الموت لأن مثل ذلك الواقع لا يطاق.

إن ما يميز الكنايات التي استعملها الشاعر محمد زين العودي أنها قد قامت بدورها الحجاجي والإقناعي التي تضطلع به وأنها تعد آلية من آليات الحجاج في شعره استطاع من خلالها أن يشرك المتلقي ويثير بواسطتها انفعاله

(١) المصدر السابق، ص ١٤٢.

في الكثير من القضايا التي تناولها، والتي منها أيضاً استعماله الكناية لبيان الدور الذي تحمله الكلمة في الكشف عن حقيقة الفساد والمفسدين، فنجده يقول:

نريدها طليقة.

تمزق القناع.

لتكشف الحقيقة.

أمام أعين الرعاع.^(١)

أولئك الذين غرروا بهم رداً.

وألقوا الرماد في أعينهم.

فلا يشاهدون أرضهم تباع.^(٢)

أراد الشاعر أن يبين للمتلقي مدى التضليل والزييف الذي يمارسه الحكام ضد شعوبهم ومقابل ذلك فضاة ما أصيب به من العمى من سماهم بالرعاع، ولكي يقنع المتلقي بذلك أتى بكنايتين (تمزق القناع- ألقوا الرماد في أعينهم) فالأولى كناية عن الزيف الذي يمارسه الحاكم ليغطي الحقيقة، والثانية كناية عن التمويه والمغالطة والبأس الحق بالباطل، وحجب الحقيقة عن الغوغاء الذين هم دائماً عون الظالم ويد الغاشم فيكون بذلك قد استطاع إقناع المتلقي بمدى الغواية التي يستخدمها الحكام لتتويه الشعوب وتضليلها، فقد ترك المتلقي يتخيل الموقف بنفسه ويقتنع بذلك لما للقدرة الكنائية من إثبات المعاني فهي بمثابة الدليل "دور الكناية يكمن في إضافة معنى آخر، حيث تجعل المعنوي في صورة محسوس واضح، فتعطي المتلقي الحقيقة مصحوبة بالدليل والحجة، لأنها تجعل المتلقي يبحث عن معناها الضمني ويكتشفه بنفسه^(٣) وكذلك نجد الشاعر يوظف الكناية في شعره توظيفاً حجاجياً ليخترق بها أعماق المتلقي ويجبره على الاقتناع، بأن الواقع الذي يعيشه واقع مأساوي، وذلك بقوله:

(١) الرعاع: الرعاع من الناس: الغوغاء، الواحد رعاعة، يقال: هو رعاعة من الرعاع، ينظر: المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، دط، دت، ص ١ / ٣٥٤.

(٢) ديوان تراثيل في محراب الحرف، ص ٤٥

(٣) الروابط الحجاجية في شعر المتنبي، خديجة بو خشرة، ص ٦٦.

عطف المليار على الألفِ أصدر أمراً للمستكفي^(١)
قائلاً رقوقه من الحيفِ بقرار ومعاشرٍ يشفي
ويسير الألف إلى صنعا ويتابع أعواماً سبعا
ويقيس دوائرها ذرعا ويصير الأمر إلى الحنفِ^(٢)

الشاعر في الأبيات السابقة يبين للمتلقي مدى ما كان يعانيه المواطن من صعوبة وتطويل في المعاملات في الوزارات والدوائر الحكومية وما يجده من روتين ممل كي تُجنى من خلاله الرشوات، ولكي يقنع المتلقي بمدى تلك المصاعب والعوائق التي تقف حجر عثرة أمام المواطن أتى بأكثر من كناية كقوله (عطف المليار) وهي كناية عن كثرة الأموال لدى الدولة، مقابل (الألف) وهي كناية عن قلة المرتب لدى المواطن، وكذلك (المستكفي) وهي كناية عن الحاكم الذي تحت تصرفه تلك الأموال و(يقيس دوائرها ذرعا) كناية عن كثرة التردد على تلك الوزارات دون أي فائدة، وكل تلك الكنايات تصب في نتيجة واحدة مفادها (وجود فساد مالي وإداري في مرافق الدولة) فيتخذ من تلك الكنايات آلية إقناعية يتوسل بها لإثارة انفعال المتلقي وجعله يدرك مدى فداحة الوضع المأساوي الذي يعيشه، فيؤمن بحتمية الثورة عليه وتغييره و يقوم بالتصدي لذلك الفساد الذي يعرفل حركة التنمية في البلاد، وبالتالي الثورة على ذلك الفساد فكل تلك الكنايات قرعت ذهن المتلقي ودفعته إلى البحث عن العلاقة بين معنى اللفظ الظاهر والمعنى الخفي "وترجع الطاقة الإقناعية لمادة/موضوع الصورة الكنائية إلى كونها منتزعة من عالم المتلقي /المخاطب ويمثل العالم تجارب المتلقي لمادته وممارسته المعيشية ومشاهداته العينية ومن سلوكه اليومي، فضلا عن معتقداته وفكره وثقافته"^(٣) فما يبقى أمام المتلقي إلا الاقتناع والسعي لتغيير ذلك الواقع.

(١) هو أبو القاسم ابن المكتفي ابن المعتضد، من خلفاء الدولة العباسية، بويع بالخلافة (٣٣٣ هـ)، لقب المستكفي نفسه وضرب ذلك على السكة (أي على النقود) توفي (٣٣٨ هـ) وكبيديا الموسوعة الحرة، إصدار ٢٠١٥ م.

(٢) ديوان ترانيل في محراب الحرف، ص ٦٦.

(٣) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ص ٥٠٠، ٥٠١.

فيكون الشاعر بهذه الكنايات قد نجح في إثارة المتلقي وإقناعه بوجوب الرفض والثورة على هذا الفساد.

ومن خلال ما سبق نخلص إلى أن الشاعر محمد زين العودي قد اتخذ من أسلوب الكناية وسيلة يروم من خلالها إشراك المتلقي في العملية الحجاجية التي بدورها تقوده إلى الاقتناع بما يقوله الشاعر واستمالاته لقبول الخطاب والإذعان له بصورة بلاغية بيانية، لأنه كان مدركاً أن التكنية والستر للمعاني في بعض الأحيان أقوى تأثيراً من التصريح والإفصاح خصوصاً مع الواقع المأساوي الذي كان يعاني منه ويسعى إلى تغييره.

نتائج البحث :

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

- إن الشاعر محمد زين العودي لم يعتمد على نوع واحد من أنواع الصورة بل نجده قد توسل بالعديد من أنواع الصور (التشبيهية والاستعارية والكنائية) ووظفها توظيفاً حجاجياً استطاع من خلالها أن يثير انفعال المتلقي ليشاركه في عملية التغيير والإصلاح الاجتماعي والثقافي والسياسي والديني والذي يروم الشاعر تغييره داخل مجتمعه والذي قال شعره من أجل تحقيق .
- إن مما زاد من حجاجية الصورة في ديوان الشاعر محمد زين العودي وجعلها تحمل شحنة إقناعية أنها مستمدة من الواقع المحسوس ممثلاً بالطبيعة والحيوان وثقافة المتلقي وتم تشكيلها بما يتناسب و التجربة الشعورية والشعورية وبما يعبر عن رؤية الشاعر لذاته ولقضايا الإنسان والمجتمع اليمني وسهل على المتلقي إدراك المعاني الكامنة وراءها.
- استعمل الشاعر الصورة ووظفها توظيفاً حجاجياً ليعالج من خلالها الكثير من قضايا مجتمعه.